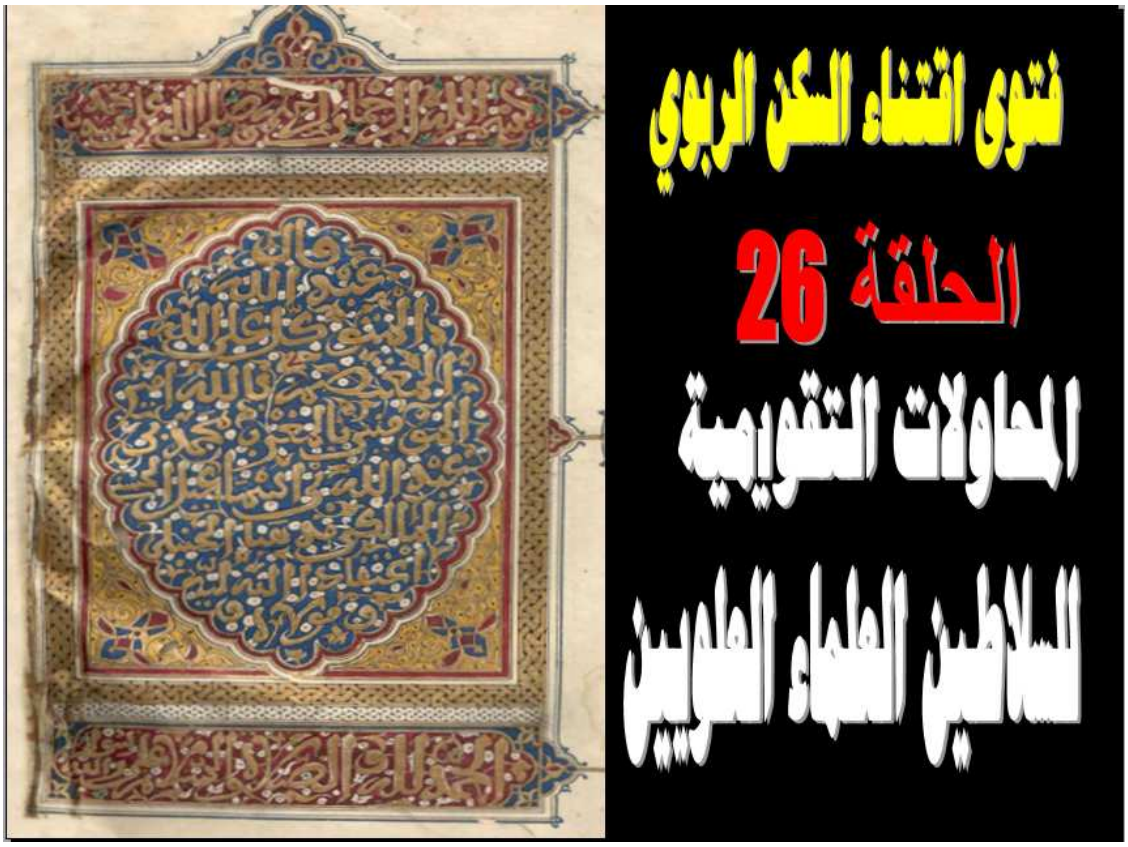

فتوى اقتناء السكن الربوي

الحلقة 26

المحاولات التقويمية للسلاطين العلماء العلويين المغاربة

كتبنا في سلسلة " **ضعيف الصحيحين**"، في **الحلقة 31**، على موقعنا، تحت

عنوان: "كيف جمع "الثبات" و"الجريان" بين الشيخ ابن باز، وغاليليو غاليلي، والبابا أوربان الثامن

؟"

{ومن **المفارقات التاريخية**، أن يبدأ **الحوار العلمي الكنسي** على أسنة

الخوازيـــــق **ولهيـــــب**

المحارق المتأججة بأجساد **المخالفين** للأطروحات التي تقول بها **الكنيسة** حيث سلكهم **القساوسة** في عداد **الهرطقيين** خارج **هرطقتهم البولصية** {نسبة إلى القديس بولص} **التاريخية**، التي مثلت عند المُحاقة **أكبر انقلابية دينية** حصلت في التاريخ البشري كله، حيث تغلب **التيار الهرطقي البولصي الوثني** المتفلسف على الخطاب المباشر والبسيط لـ**مواعظ الجبل** التي تلقفها **الحواريون** من في **المسيح** عليه السلام حيـة مُحْيِيّـة وصـافية رقراقـة زلالاً، ليكتـب النجـاح والاسـتمرارية التاريخيـة **للمتطفلـين**

الـهرطقيين الذين سيستحوذون حتى على اسم الدعوة ويحتكرون استعماله، في حين انقرض الحواريـــــون وكنيـــــستهم وطـــــواهم التـــــاريخ إلـــــى أن بعثـــــوا مجـــــدداً فـــــي الإسلام 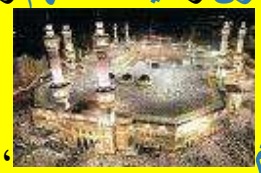 ، ستة قرون بعد ارتفاع صاحب الرسالة}.

فما علاقة هذه الفعلة الشنعاء بالمغاربة ؟

لنترك الوقائع على الأرض تحدثنا.

في النـهاية كان:

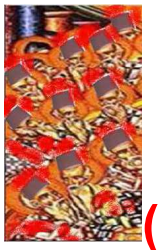

الـرد المتشنج ل هيئـة المجلس العلمـي (الأفندي) الأعلى !!!!!! المغربية، التي أصدرت بيانـاً سياسياً جاء فيه (تابع):

وأضاف أفندية العلم المخزنيون:

واعتنوا بالعلم ونشره في المساجد والجوامع والزوايا ، وكان الفقه المالكي محط اعتبار لحاجة الناس له في حياتهم العملية فنبغ منهم علماء أعلام وفقهاء عظام كانت مؤلفاتهم أمهات يحتكم إليها ويعول عليها وما كانوا يجدون حرجا في الرجوع إلى آراء علماء خارج المذهب المالكي ، ولكنهم حين يفتون لم تكن تغيب عنهم خصوصية المغرب وهوية أهله فيقتدون بآراء مذهبهم الذي ارتضوه وأجمعوا عليه مراعين أعرافهم وتقاليدهم وما جرى به العمل عندهم وما درج عليه سلفهم لا يضرهم من خالفهم مكتفين بعلماء بلدهم وفتاوى أسلافهم يجدون فيها ضالتهم توخيا لجمع الناس على رأي واحد يضمن اجتماع الكلمة ووحدة الصف.

قلت:

هذا الفقرات الإنشائية مليئة بالمغالطات التاريخية ما امتلأت الفقرات قبلها.

ذلك أن العلماء الأعلام والفقهاء العظام الذين يتحدث عنهم هنا، لم يحصل قط أن كانوا مغاربة، بالمعنى الجغرافي الضيق للمغرب الأقصى في حدوده الحالية على الضفة الجنوبية لبغاز جبل طارق، والمحدود شرقاً بنهر ملوية والشامل للصحراء الغربية وموريتانيا،

بحسب الخريطة التالية

، بل كانوا كلهم، ومن دون استثناء، علماء وفقهاء من خارج هذه البقعة الجغرافية، على ما سنتبين الآن، لنلقم كاتب هذا النص حجراً، يكسر بعض أنيابه المكشرة.

ويكفي المرء أن يستعرض الكتب التي كان يُنشّأ عليها طلبة القرويين، والوقوف على مستواهم المعرفي المتدني العام، مقارنة مع أقران لهم في مثل سنهم من باقي أبناء الأمم الأخرى، ليدرك الهوة والدرك الذي انحدر إليه العلم بهذا القطر، ومنذ سقوط الأندلس وإلى يوم الناس هذا، حتى أنهم، ولتجدر وتأصل هذه الشقاوة فيهم، وكأنها جزء من مجينهم الوراثي، انتقلت منهم بالعدوى إلى سائر أجيال المغاربة، ليتخصصوا بدورهم في تخريج أنصاف الأميين، والعاطلين، ما تخصصت القرويين، ولمدة ناهزت الآن الخمسة قرون، في تفريخ أشباه علمائها الذين لا غنية فيهم..

وكي نجعل القارئ يلم بأبعاد هذه الكارثة التعليمية، فيكفينا أن نختار فترة تاريخية زاهية نسبياً من تاريخ المغرب، ونطل منها على جامع القرويين، لننظر من طرف خفي إلى ما كان يلقن لطلبته، ونستعمله كمعيار لقياس النبض العلمي للبلد وافقه المعرفي.

ولعل أنسب نافذة تاريخية نُطل بها على حال القرويين وروادها، فترة ما اصطلح علماء القرويين أنفسهم على نعتها بفترة "**حكم السلاطين العلماء**" بالمغرب، التي تبدأ بالسلطان **العلوي:** محمد بن عبد الله (1121 هـ/ 1710 م – 1204 هـ/ 1790 م)
الذي حكم خلال الفترة (1171 هـ/1757 م - 1204 هـ/1789 م) ، **وتنتهي بحفيد، المولى عبد الرحمن بن هشام.**

فقد أصدر السلطان **محمد بن عبد الله في عهده** ظهيراً تنظيمياً مؤرخاً بتاريخ 1203 هـ/1788 م، يلزم فيه عموم أساتذة **جامع القرويين** باعتماد توجيهات وضوابط صارمة في تدريسهم لتخصصاتهم المعرفية وفق المعايير التالية:

1) **في الأصول**: ألزمهم أن يكتفوا بتدريس كتاب الله وتفسيره باللغة والأثر. وهو ما ينبئ بالمنحى السلفي لهذا السلطان،
2) **في الحديث**: أن يكتفوا بتدريس الكتب التي اشترطت **إخراج الصحاح** فقط كصحيحي **البخاري ومسلم** ونحوهما. وهو موقف جد متقدم بالنسبة لعصره، لأنه يكون بهذا عمل على إبعاد الفقهاء من الاستشهاد بالواهيات والإغراب بها على العامة في حلقات الوعظ والإرشاد والخطابة.
3) **في الفقه**: أن يكتفوا بتدريس كتب:

أ) "**المدونة الكبرى**"[1]، وهي للفقيه أبي سعيد عبد السلام بن سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي المالكي **القيرواني التونسي** (160 هـ - 240 هـ) التي رواها عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي **المصري** (132 هـ - 191 هـ)، التي جمعها من أقوال الإمام مالك بن أنس **المدني** (ت: 179 هـ).

وهو من أهم كتب المالكية في الفروع.

ب) و"**البيان والتحصيل**"، وهو لابن رشد الجد: محمد بن أحمد **القرطبي الأندلسي** (ت: 520 هـ).

وهو بيان وشرح وتعليل وتوجيه وتأويل وتحصيل للكتاب الذي جمعه محمد بن أحمد العتبي **القرطبي** (ت: 255 هـ/868 م) من عدة مصادر أولاها كتاب "الواضحة" لعبد الملك بن حبيب، وسماعات من أصحاب مالك: أبي القاسم، وأشهب، وابن نافع، ثم من تلامذة ابن القاسم: ابن وهب ، والليثي، وشبطون، وابن مرتيل، وسحنون، وابن أصبغ.

[1]. أنظر عبد الرحمن بن خلدون: "المقدمة" ص. 498، طبعة دار الجيل، لبنان بدون تاريخ.

وكلها عبارة عن مسائل نوازل، وتسمى ب "المستخرجة" أو "العتبية". وقد عالج ابن رشد مسائل "المستخرجة" في مسائل المذهب كما وردت دون تأصيل من الكتاب أو السنة !!!!!! .

وقد لخصها ابن أبي زيد القيرواني التونسي في كتابيه: "المختصر" و"النوادر والزيادات على المدونة".

ثم جاء أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصَّقلي (ت: 451 هـ) فنقل جل ما في "النوادر" وغيره من الأمهات في كتاب سماه: "مصحف المذهب".

وهو أحد المصادر الأربعة الذي سيعتمده الشيخ خليل المصري في مختصره الشهير.

ت) و"مقدمة ابن رشد" وهو كتاب للقاضي أبي الوليد محمد بن احمد: ابن رشد الحفيد القرطبي الأندلسي الفيلسوف (520 هـ/1126 م- 595 هـ/-1198م) {صورة متخيلة له} : وعنوانه الكامل: "المقدمات الممهدات في بيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات".

ث) و"جواهر ابن شاس"، وهو لأبي محمد، جلال الدين، عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المصري (ت: 616 هـ/1219 م) شيخ المالكية في مصر في عصره.

ج) و"النوادر"، وهي لأبي محمد: عبد الله بن أبي زيد: عبد الرحمن النفزاوي القيرواني التونسي (310 هـ - 386 هـ) شيخ المالكية في عصره ويلقب بمالك الصغير.

ح) و"الرسالة " . وهي لابن أبي زيد أيضاً. وهي تلخيص للمذهب المالكي وفيها أربعة آلاف مسألة فقهية وأربعمائة حديث.

وتقول المصادر بأنه ألفها سنة 327 هـ، وعمره لم يناهز بعد 17 سنة !!!.

وهذا عندي قول أقرب إلى الأسطورة منه إلى الواقع. بل جنح الشيخ زروق (سياتي)، في شرحه على الرسالة، بأنه ألف كتابه هذا **وعمره 11 سنة!!!**.

وللرسالة عدة شروح فشرحها تلميذ **ابن أبي زيد**:

- أبو بكر محمد بن موهب، المعروف بالمقيري **القرطبي** (ت: 406 هـ)،
- والقاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر **البغدادي** (ت: 422 هـ)،
- وأبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي **السوسي المغربي** (ت: 741 هـ)،
- وأحمد بن أحمد بن عيسى البرنسي **الفاسي**، ثم **المصراتي** (نسبة إلى مصراته بطرابلس الغرب) المعروف **بالشيخ زروق** (846 هـ - 899 هـ)،
- وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن يخلف الشاذلي **المصري** (ت: 939 هـ) وغيرهم.

ولأبي الحسن **المصري**، ستة شروح على الرسالة، "غاية الأماني"، و"تحقيق المباني"، و"توضيح الألفاظ والمعاني"، و"تلخيص التحقيق"، و"الفيض الرحماني"، و"كفاية الطالب الرباني". وعلى الشرح الأخير كان اعتماد تلامذة القرويين في الأعصار المتأخرة.

قلت:

وأوجب السلطان **محمد بن عبد الله** كذلك على من رام تدريس "**مختصر الشيخ خليل**" في الفروع المالكية، أن يكتفي فقط بالشروحات الخمس لكل من:

أ) **البهرام**، أبي البقاء، تاج الدين، بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز السلمي الدميري **المصري القاهري** (734 هـ/1334 م - 805 هـ/1402 م). انتهت إليه رياسة المالكية في زمانه.

ب) والموّاق، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي الشهير بالمواق (ت: 897 هـ/1492 م) كان عالم غرناطة في وقته وتوفي سنة سقوطها. وله كتاب "التاج والإكليل لمختصر خليل"

ت) والحطّاب، أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني المالكي المعروف بالحطاب الطرابلسي (902 هـ - 954 هـ) من فقهاء طرابلس الغرب وله شرح على خليل باسم "مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء سيدس خليل".

ث)

ج) والأجهوري، أبو الإرشاد نور الدين علي بن زين العابدين محمد بن عبد الرحمن بن علي الأجْهُوري (967 هـ/1560 م - 1066 هـ/1656 م) المالكي. القاهري. شيخ المالكية في عصره. برع في العربية والبلاغة والمنطق زيادة على الأصلين والفقه. وله شرح على شرح الزرقاني لمختصر خليل.

ح) والخرشي. أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي المصري (1010 هـ - 1101 هـ) له كتاب: "شرح على مختصر سيدي خليل". وقال في مقدمته: {قد وضعت شرحاً على مختصر أبي الضياء خليل يحتوي على تقييداته وفوائد يصعب فهمها على المبتدئين !!! وغير الممارسين ثم أدركتني رحمة الضعاف !!! حين طلب مني جماعة من الإخوان شرحاً آخر لا يكون قاصراً عن إفادة القاصرين فأجبتهم لذلك..}

وأوصى السلطان بأن لا يتعدوا هذه الخمسة بحال إلى غيرها![2].

[2] لاحظ أن هذه اختيارات ذوقية شخصية لمحمد بن عبد الله، ولا يوجد من بينها مؤلف لقروييني!.

قلت:

لا شك أن القارئ قد لاحظ أن كل هذه الأصول التي اعتمدها محمد بن عبد الله، كأمهات لتدرس برحاب القرويين، منِشأها إما: مصري، أو ليبي، أو تونسي، أو صقلي، أو أندلسي، ..إلا المغرب !!!. فليس من بينهم ولا مغربي واحد معتبر.

ولم يكتف محمد بن عبد الله بهذا الاختيار للأمهات من خارج الوطن، بل وجدناه، وعلى عكس ما طوح به مدبج هذا البيان السياسي ووافقه !!! عليه مرغمين، الأفندية **المؤثثون للمجلس العلمي الرسمي، لا يكتفي أيضاً باستشارة العلماء والفقهاء المحليين، بل انفتح على فقهاء مصر موسعاً لدائرة النقاش والاستشارة.**

ولعل القارئ قد لاحظ الآن، أن مراجع شروح المختصر الخليلي التي أقرها السلطان، هي ك "المختصر" ذاته، مصرية المنشأ.

ولأجل هذه الوشيجة التاريخية بين **مالكية مصر** ك **أساتذة منشئين في الفروع** ومالكية المغرب ك**تلامذة مقلدين وغير مبدعين**، فقد راسل علماء مصر بخصوص **إصلاح العدلية المغربية**، المرتبطة رأساً بمقررات ما يدرس في القرويين من فقه، وزودهم بمسودة عمل، سرد فيها كل المسائل التي رام إصلاحها بندا بنداً وطلب منهم موافاته، برأيهم في كل مسألة مسألة من المسائل المعروضة عليهم مشفوعة بتوقيعاتهم.

بل وعلى عكس ما ينتهجه استئصاليو النظام اليوم، من سياسة نزقية ضد شريحة من مواطنيهم، يخوفون النظام منهم، ويرمون بهم في غيابات السجون من دون محاكمات، معرضين النظام لمخاطر لا تحمد عواقبها، على المدى القريب والمتوسط والبعيد، فقط، من أجل الحفاظ على مراكزهم وخدمة مصالحهم الضيقة والبئيسة، يعتبر محمد بن عبد الله، أول سلطان مغربي، تبنى الخط العام للدعوة السلفية التي لهج بها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (1115 هـ/1703 م - 1206 هـ/1792 م) بالحجاز بعد أن وقف عن كثب على منهج الدعوة وتفاصيل تطبيقاتها على الأرض، من خلال ما كان يوافيه به عنها، علماؤه الذين كان يبعثهم مع الحجيج المغربي في كل موسم حج.

وكان من نتائج هذا التقارب حصول مصاهرة بين المملكتين.

ولكونه قد تفقه في الدين، فقد قطع شوطاً بعيداً في التحرر من ربقة التقليد، حتى شاع عنه قوله بأنه:

على مذهب مالك في الفروع والأصول، وعلى عقيدة الإمام أحمد في الاعتقاد[3].

---

[3] أنظر الناصري في كتاب "الاستقصا لتاريخ المغرب الاقصى" (8: 68).
وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية رضي الله عنهم وكان يحض الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل وكان يقول عن نفسه حسبما صرح به في آخر كتابه الموضوع في الأحاديث المخرجة من الأئمة الأربعة أنه مالكي مذهبا حنبلي اعتقادا يعني أنه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين وله في ذلك أخبار ومجريات.

على ما يظهر مما خطه بنفسه في غلاف كتابه: " الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية تشفى بها القلوب الصدية"، و ذيله ببيان عقيدته ومذهبه الفقهي، والذي انتهى من تأليفه سنة 1198هـ. ويظهر على المخطوط تصدير الكتاب وقد كتب فيه:

"قال عبد الله، المتوكل على الله، المعتصم بالله، أمير المؤمنين بالمغرب: محمد بن عبد الله بن إسماعيل **المالكي مذهباً الحنبلي اعتقاداً**، الله وليه ومولاه" {صورة المخطوط، المحفوظ في خزانة القرويين بمدينة فاس تحت رقم 745 }.

قلت:

وكانت له عناية خاصة **بالحديث النبوي الشريف**، حيث عمل بجد على جلب مؤلفات كثيرة لم تكن متداولة بين المغاربة مثل:

أ) **مسند الإمام أبي حنيفة،**

ب) و**مسند الإمام أحمد** وغيرهما.

بل سيذهب إلى **التسوية بين المذاهب الأربعة**، ويبرهن عملياً (بمساعدة فقهائه) عن قناعته الجديدة هذه بتأليفه لكتاب: "**مسانيد الأئمة الأربعة**"، حيث التزم ألا يدخل فيه، سوى الحديث الذي اتفق الأئمة الأربعة، **مالك**، و**أبو حنيفة**، و**الشافعي**، و**أحمد**، على إخراجه بإجماع منهم، ثم ثلاثة منهم، أو اثنان. أما إذا تفردوا فلا يرويه عنهم ولا يدخله كتابه[4].

[4] أنظر الناصري في "الاستقصا" (8: 67)..

وهو ما سيفضي به منطقياً إلى **التخلي** عن **العقيدة الأشعرية**، التي كانت شائعة بين مقلدة ومجترة القرويين في عصره[5] ، حيث أصدر مرسوما جاء فيه:

ومن أراد علم الكلام فعقيدة ابن أبي زيد[6] كافية، شافية، يستغني بها جميع المسلمين،...
ومن أراد أن يخوض في علم الكلام، والمنطق، والفلسفة، وكتب غلاة الصوفية، فليتعاطى ذلك في داره مع أصحابه،،،،،

لذلك لم نر ذكراً لكتاب: "**المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**" ل **عبد الواحد ابن عاشر الفاسي**

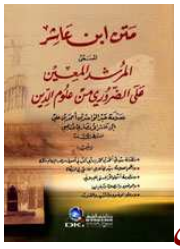

، بين ما أوصى به من كتب لطلبة القرويين في العقيدة الأشعرية المتأخرة.

وهو نظم من 317 بيتا، جاء في مقدمته:

يقول عبد الواحد بن عاشر	مبتدئا باسم الاله القادر
الحمد لله الذي علمنا	من العلوم ما به كلفنا
صلى و سلم على محمد	اله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعون من الله المجيد	في نظم ابيات للامي تفيد
في عقد **الأشعري** و فقه **مالك**	وفي طريقة **الجنيد** السالك

بل كان مدركا لكون حفظ المتون ليس غاية في ذاته، حيث قال في كتابه الآخر: " **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**" بأن الحفظ وحده لا يفيد من قطمير، ما لم يسنده الفهم.

---

[5] أنظر: الهاشمي الفيلالي 1943: "السلطان سيدي محمد بن عبد الله"، مجلة "رسالة المغرب" العدد 7، ص. 9.
[6] وهي عقيدة سلفية صرفة.

لذلك يصاب المرء بالذهول، حين يرى **المبتدعة الأفندية المخزنيون الهرطقيون** ، يحاولون اليوم فرض هذه العقيدة الكلامية بنت زمانها على المغاربة، بينما العصر عصر علم وتجاوز مقولات الفلاسفة وعلم الكلام.

أما كيف تجرؤوا على نسف هذه التراثية، المسنودة بالعلم، وتبنوا نقيضها الهرطقي، تبعاً لأوامر صادرة من الخارج وليس من الداخل، فينبئ عن مدى ضعف الأفندية وقلة حيلتهم.

ولهفي على صبية برئة تنشأ على مثل هذه الهرطقيات، وأساتذتهم لا يدرون أنهم قد وقعوا في ورطة لا مخرج لهم منها، حين جعلوا **محمد السادس**، الذي لم ينشئه والده ليتفقه في الدين ما كان قد تفقه فيه جده الأعلى **محمد الثالث**، ينقض غزل جده، بينما الأفندية هم الناقضون الفعليون للغزل.

بل لا يدرون بمنطقهم الاستئصالي الكسيح هذا، أنهم يجعلون الناس يخالجها شك كبير في تدين السلاطين العلويين، مادام العامل الخارجي هو الحاسم وليس الداخل.

قلت:

ولربط أقواله بأفعاله مرة أخرى، فقد كلف **محمد الثالث** ثلاثة من فقهائه وهم:

أ) الشيخ **التاودي بن سودة** (ت: 1209 هـ/1795 م)[7]،

ب) وقاضي الجماعة بفاس **أبا خريص عبد القادر**[8]،

[7] أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد بن علي: ابن سودة المري الفاسي (1111 هـ/1700 م - 1209 هـ/1795)، شيخ الجماعة بفاس في عصره.

ت) والشيخ إدريس العراقي (ت: 1183 هـ/1769 م)[9] أن يتوزعوا فيما بينهم بالتساوي مهمة تأليف شرح على كتاب: "مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية"

لرضي الدين، أبي الفضل، حسن بن محمد بن حسن بن حيدر العدوي الصاغاني الحنفي (577 هـ - 650 هـ).

وعندما توفي العراقي قبل إتمام شرحه، كلف السلطان ابنه:

ث) عبد الله بن إدريس بإتمام تلك المهمة الغير منتهية.

قلت:

ولئن اشتهر من الفقهاء من كان يدعو إلى نبذ التقليد، وعدم الجمود على المذهب، والانفتاح على المذاهب الأخرى، كما اثر عن المؤرخ وقاضي القضاة الشافعية بالشام في عصره أبي نصر، تاج الدين، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

---

[8] أورد اسمه الناصري في "الاستقصا" (8: 3) ضمن من كان حاضراً أثناء البيعة العامة للسلطان محمد بن عبد الله التي حصلت يوم 27 صفر 1171 هـ/1757 م ولم يترجم له.

[9] أبو العلاء، إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون بن عبد الرحمن الحسيني العراقي الفاسي(1120 هـ/1705 م - 1183 هـ/1769 م). اشتهر بالحديث حتى أطلقوا عليه اسم سيوطي زمانه!. وذهب بعضهم إلى جعله فوق ابن حجر العسقلاني!. له شرح على شمائل الترمذي، والثلث الأخير من شرح "مشارق لأنوار" للصغاني،، ومختصر تاريخ الكامل في الضعفاء لابن عدي، ومختصر لتاريخ الخطيب البغدادي، و"فتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير"،..وغيرها.

السبكي (727 هـ/1327 م - 771 هـ/1370 م) إلا أنها كغيرها من الصيحات، ما كانت لتسمع صم القرويين، وفي التعيش بالمحفوظ غنية عن أي تجديد.

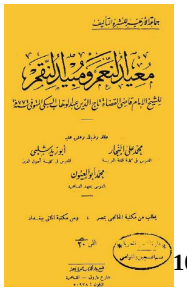

قال **السبكي** في كتابه: "**معيد النعم ومبيد النقم**"[10] :

{وأما تعصبكم في فروع الدين، وحملكم الناس على **مذهب واحد**، فهو الذي **لا يقبله الله منكم**، ولا يحملكم عليه إلا **محض التعصب والتحاسد**. ولو أن **الشافعي** وأبا حنيفة، و**مالكاً**، و**أحمد** أحياء يرزقون، **لشددوا النكير عليكم وتبرءوا منكم فيما تفعلون**. فلعمر الله لا أحصي عدد من رأيته يشمر عن ساق الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يسمي، أو حنفي يقدم الجمعة على الزوال، وهو يرى من العوام ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق ولا ينكرون عليه}.

ويدرك القارئ على محك هذا النص البليغ، الذي لا يخالفه سوى شقي مطرود من رحمة الله، المكانة العامية الرفيعة التي بوأها السلطان **محمد بن عبد الله** رحمه الله لنفسه كمجتهد، وتقدمه بمراحل على فقهاء عصره، فما بالك بخفافيش الظلام المتآكلين بالسحت من أشقياء الاستئصال المعاصرين ؟ وانظر لمزيد عن هذا الاستعصاء في الإصلاح والتقويم، ما

[10] معيد النعم ومبيد النقم، بعناية: محمد علي النجار، وأبي زيد شلبي، ومحمد ابي العيون، نشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف، ص. 76.

كتبناه في سلـــسلة صـــناعة الفقـــه: "المقاصد السياسية والشرعية عند علال الفاسي"، الحلقة الثانية

وتنطرح أسئلة مصيرية لا بد لها من إجابات مقنعة وشافية:

أ) كيف نفسر **بروز بعض مالكية مصر** ، بالرغم من كون مذهبهم لم يكن بالمذهب الرسمي للدولة، و**نبوغ بعض مالكية العراق** قبلهم، بالرغم من كون مذهبهم لم يكن بالمذهب الرسمي للدولة كذلك، وأن ينجحوا مع ذلك في تصدير أفكارهم وكتبهم إلى القرويين، بل وحتى الشروح عليها، حال **مختصر الشيخ ضياء الدين، أبي المودة: خليل بن إسحاق الجندي المصري** (ت: 867 هـ/1462 م)، لتنشأ عليها أجيال بعد أجيال من **أشباه الفقهاء** المغاربة في **دويلات صِفرية** {نسبة إلى دولة محصلة الصفر} {أنظر: **دولة محصلة الصفر**" على هذا الموقع} ظلت تتبنى المذهب المالكي كمذهب رسمي، بينما **لم تسطع شمس ولا مغربي واحد** !!!!وعلى مدى أزيد من خمسة قرون، ليقنع أحسنهم طريقة، بتحشية الحواشي على حواشي من سبقوه!!!.

ب) كيف يتسنى للعلماء أن ينبغوا في بلد، حرية الرأي فيه مُصادرة، إلا أن يسايروا النظام مكرهين، وإلا فتنوا في دينهم أو عذبوا أو قتلوا؟

فالخلل موجود في بنية النظام المخزني نفسه، المتكلس والمتحجر، الذي لا يعرف كيف يتكيف مع العصر، ولا كيف يستأنف المسير. ويحكمه منطق دولة محصلة الصفر.

انتهى وتليه الحلقة 27